



Original article

## Disasters, Epidemics, and Pests in the Jazira Region (41–158 AH / 661–774 AD) in the Zuqnin Chronicle Attributed to Dionysius of Telmahre (231 AH / 845 AD)

Afrah Hameed Abd Al Mufarji

*Department of History, College of Education for Human Sciences / University of Wasit*

**\*Correspondence author:**  
[afrah@uowasit.edu.iq](mailto:afrah@uowasit.edu.iq)

Received: 1<sup>st</sup> September 2025  
Accepted: 31 October 2025  
Published: 01 February 2026

**DOI:**

<https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss1.1347>



1812-0512 / © 2026 The Author(s). Published by Wasit Journal for Humanities Sciences, Wasit University. This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (<http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/>).

**Cite:**

Al Mufarji, A. H. A. (2026). Disasters, Epidemics, and Pests in the Jazira Region (41–158 AH / 661–774 AD) in the Zuqnin Chronicle Attributed to Dionysius of Telmahre (231 AH / 845 AD). Wasit Journal for Human Sciences, 22(1).  
<https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol22.Iss1.1347>

### ABSTRACT

This study examines the general conditions of the Jazira region, focusing on the impact of natural disasters, epidemics, and plagues on its demographic and social structure. Between 41 and 158 AH (662–775 CE), the region experienced numerous crises, including earthquakes, floods, heavy rains, snowstorms, extreme heat, and outbreaks of diseases and pests. Drawing upon the accounts found in the Pseudo-Chronicle of Zuqnin attributed to Dionysius of Tell-Mahre, the research aims to identify the real crises that shaped the region's historical experience. These calamities caused severe economic and social distress, leading to widespread human losses, the destruction of crops, and the death of livestock, leaving long-lasting effects on the livelihoods of the inhabitants.

**Keywords:** Jazira Region, Dionysius of Tell-Mahre, Epidemics, Earthquakes, Floods, Diseases

## الكوارث والأوبئة والآفات في إقليم الجزيرة (٤١-١٥٨هـ / ٦٦٢-٧٧٥م) في روايات تاريخ الزوقيني المنحول للمؤرخ ديونيسيوس التلمحري (ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م)

م.د. افراح حميد عبد المفرجي  
قسم التاريخ كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة واسط

### المستخلص

تُعد دراسة الأحوال العامة لإقليم ما أحد أهم الدراسات التي تلقي الضوء على طبيعة الأحوال المعيشية ومدى تأثيرها على المجتمع ، وقد أخذنا جانباً من العوامل المؤثرة في المجتمع ألا وهي الكوارث والأوبئة والآفات والأمراض في إقليم الجزيرة ومدى تأثيرها على الديموغرافية العامة للإقليم، تعرّض الإقليم أثناء فترات زمنية الى الكوارث الطبيعية، والأوبئة، والأمراض، ولهذا ارتأينا أن تكون دراستنا هذه تحت عنوان "الكوارث والأوبئة والآفات في إقليم الجزيرة ٤١ \_ ١٥٨هـ / ٦٦٢-٧٧٥م في روايات تاريخ الزوقيني المنحول للمؤرخ السرياني ديونيسيوس التلمحري(ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م)" وجاءت هذه الدراسة لمعرفة الأزمت الحقيقة التي مرّ بها الإقليم من سنة ٤١ \_ ١٥٨هـ وما ترتب عليه من حدوث الزلازل والفيضانات، والسيول، والثلوج والبرد، وارتفاع درجات الحرارة، وانتشار الأوبئة والأمراض والآفات، التي شكّلت بحق أزمات اقتصادية واجتماعية حادة نتج عنها هلاك العديد من الناس، وتدمير المحاصيل الزراعية ونفوق الثروة الحيوانية ، وشمل تأثيره على جوانب أخرى.

**الكلمات المفتاحية:** إقليم الجزيرة، التلمحري، الأوبئة الزلازل الفيضانات، الأمراض.

### المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فتُعد دراسة الكوارث الطبيعية والأوبئة والأمراض والآفات وتأثيرها المختلف على مفاصل الحياة أحد أهم المواضيع التي تسترعي اهتمام المؤرخين والباحثين على مر العصور، إذ تُعد من المشاكل الأزلية التي تعاني منها المجتمعات عبر التاريخ، لهذا تحنّم علينا أن نسلط الضوء على إقليم مهم من أقاليم الدولة العربية والإسلامية ألا وهو (إقليم الجزيرة) لاسيما وأن أحد المؤرخين السريان قد أشار إلى الأحوال العامة في رواياته (تاريخ الزوقيني) المنحول للمؤرخ ديونيسيوس التلمحري. ففي هذا الكتاب نجد روايات تاريخية مفصلة عن الأحداث الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية وكذلك السياسية وما نتج عنها من كوارث وأوبئة، ومن أجل هذا كلّه اخترنا موضوع دراستنا هذه لبيان مدى تأثيرها على الوضع الصحي، والاجتماعي، والسياسي، والديموغرافي والاقتصادي، في غلاء الأسعار وما نتج عنه من حدوث المجاعات وانعكاسها على جميع الأنشطة الاقتصادية، كما حاولنا في هذه الدراسة معرفة نظرية المؤرخين السريان وكيفية كتابتهم للتاريخ من وجهة نظرهم، وقد اخترنا أحد أهم المؤرخين السريان آنذاك ألا وهو (ديونيسيوس التلمحري ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م) ، ومن الجدير بالذكر أن هناك العديد من الدراسات التي تناولت الكوارث الطبيعية لكن بشكل عام دون الإشارة إلى موضوع دراستنا هذه مثل الكوارث الطبيعية والأوبئة ومدى تأثيرها على العلاقة بين الرعية والسلطة السياسية خلال حكم المرابطين (سنة ٢٠٠٢م) لعز الدين جسوس، وكتاب الكوارث والأوبئة في الموصل خلال العصر العباسي للباحثة مها سعيد حميد (سنة ٢٠١١م) وكتاب الكوارث الطبيعية في بلاد الشام وآثارها في العصر المملوكي ٦٤٨ \_ ٩٢٢هـ / ١٢٥٠ \_ ١٥١٧م لنافذ محمد عبد (سنة ٢٠١٢م) ، و كتاب الكوارث الطبيعية وأثرها في الأندلس من الفتح حتى نهاية عصر الخلافة الأموية (٩٢-422

هـ/711-1223م) لعباس فضل حسين المسعودي (سنة 2014م)، وكتاب أثر الكوارث الطبيعية على الوضع الصحي للعامة في الدولة العباسية خلال القرن الرابع هجري ومدى تأثيرها على الأنشطة الاقتصادية للباحثة د. شوانة خولة وخالدي مسعود (سنة 2021)، وكتاب الكوارث الطبيعية وآثارها على بلاد الشام في العهد العباسي الثاني 323\_ 656هـ / 846\_ 1258م للباحث حميدان محمود حميدان (سنة 2023م) وكتاب الكوارث الطبيعية وأثرها الاقتصادي في العراق في العصر العباسي للدكتور حسين خالد مصلح (سنة 2024م) وكتاب الكوارث الطبيعية والوبائية والظواهر الفلكية في العراق عن طريق كتاب المنتظم لابن الجوزي (512\_ 574هـ/ 1118- 1178م) للدكتور خضير نعمة هادي، وغيرها من الدراسات التي تناولت هذا الجانب. وهذه الدراسات لم تتطرق لموضوع بحثنا؛ وذلك لأن دراستنا هذه تناولت الكوارث الطبيعية والأوبئة والآفات في إقليم الجزيرة من سنة 41\_ 108هـ/ 662- 775م في كتاب المؤرخ السرياني المنحول لديونسوس التلمحري، ولهذا ارتأينا أن نقسم بحثنا إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، تضمن المبحث الأول: نبذة تاريخية عن الأحوال العامة في إقليم الجزيرة وكتاب تاريخ الزوقيني المنحول للمؤرخ ديونيسيوس التلمحري (ت 231هـ/ 845م ) ، أما المبحث الثاني فتضمن الكوارث الطبيعية وأثرها على الجانب الاقتصادي والاجتماعي في روايات تاريخ الزوقيني المنحول للمؤرخ ديونيسيوس التلمحري (ت 231هـ/ 845م ) ، أما المبحث الثالث فقد تناولنا فيه: انعكاس تأثير الأوبئة على جوانب الحياة العامة لإقليم الجزيرة في روايات تاريخ الزوقيني المنحول للمؤرخ ديونيسيوس التلمحري (ت 231هـ/ 845م )، وجاءت الخاتمة لتسجل لنا أهم النتائج التي توصلنا إليها.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي والتحليلي، كما اعتمدت الدراسة على المصادر الأساسية والمراجع الحديثة تراوحت بين الكتب التي عُنيت بكتب التاريخ العام، وتاريخ المدن فضلاً عن الكتب البلدانية، والتراجم، واللغة، وهي مثبتة في قائمة خاصة في نهاية البحث.

**المبحث الأول:** نبذة تاريخية عن الأحوال العامة في إقليم الجزيرة وكتاب تاريخ الزوقيني المنحول للمؤرخ ديونيسيوس التلمحري (ت 231هـ/ 845م)

**أولاً: نبذة تاريخية عن الأحوال العامة في إقليم الجزيرة.**

يُعد إقليم الجزيرة أحد أهم الأقاليم المهمة في الدولة العربية والإسلامية لأهميته التاريخية إذ تمتد حدود أراضيه كما أشار الجغرافيين إلى الجزء الشمال المحصور بين نهري "دجلة والفرات"، وقد أشار أحد الجغرافيين بقوله يقع الإقليم : "بين دجلة والفرات ويشتمل على ديار ربيعة ومضر ومخرج الفرات من داخل بلاد الروم من ملطية على يمين ويجري بينهما وبين شمشاط، فيخرج على شمشاط وجسر منبج وبالس إلى الرقة وقرقيساء والرحبة وهيت والأنبار، وقد تنقطع حد الفرات مما يلي الجزيرة ثم يحد الجزيرة في قسم الشمال الى تكريت وهي على دجلة حتى ينتهي عليها إلى السن مما يلي الجزيرة ثم يعدل حد الجزيرة وحديثة والموصل وجزيرة ابن عمر ثم يتجاوز آمد فينقطع حد دجلة على بعد من حد أرمينية ثم يمتد غرباً إلى شمشاط ثم ينتهي إلى مخرج الفرات... ومخرج دجلة فوق آمد من حد بلاد الأرمن..." (الاصطخري، 2004م، ص. 52) (ابن حوقل، 1992م، ص. 189) في حين أشار جغرافي آخر إلى حدود الإقليم بقوله: "الجزيرة هي البلاد التي تقع بين دجلة والفرات وقد ضمت كثيراً من البلاد الفراتية التي في الجانب الآخر من الفرات من بر الشام إلى الجزيرة لقربها من البلاد الجزرية مثل الرحبة وغيرها وهو الطرف الحد الغربي الجنوبي للجزيرة فيمتد الحد الجنوبي الغربي مع الفرات إلى ملطية إلى شمشاط إلى قلعة البيرة إلى قبالة منبج إلى بالس إلى الرقة إلى

قرقيساء الى الرحبة الى هيت الى الأنبار ومن الأنبار يخرج الفرات عند تحديد الجزيرة ثم ينعطف الحد من الأنبار إلى تكريت وهي على دجلة إلى السن إلى الحديثة على دجلة الى الموصل إلى جزيرة ابن عمر إلى أمد ثم يصير الحد غربيا ممتدا بعد أن تجاوز امد على حدود أرمينية إلى حدود بلاد الروم إلى الفرات إلى ملطية من حيث ابتدأنا فعلى هذا يكون بعض أرمينية وبعض الروم غربي الجزيرة وبعض البادية جنوبها والعراق شرقيها وبعض أرمينية شمالها والجزيرة تشتمل على ديار ربيعة و مضر وديار بكر" (أبو الغداء، 1840م، ص. 273).

وعليه يمكن أن نستنتج من كلا الروايتين أن إقليم الجزيرة يتألف من عدة مناطق بحيث تمتد من المناطق الشمالية من العراق التي تقع بين نهري دجلة والفرات إلى أن تصل منطقة تدعى (الدروب) والتي تقع في السلاسل الجبلية لجلال طرطوس ، أما من ناحية الشرق فهي تصل لسلسلة جبال زاكروس، حيث يكون نهر الفرات على الجانب الغربي للجزيرة عند مدينة (الأنبار) في حين تقع في الحد الشرقي لنهر دجلة عند (تكريت) إذن فهي تشكل الأجزاء الشمالية من العراق والشمالية الشرقية من سوريا والجزء الجنوبي من بلاد الأناضول (حمودي، 2008م، ص. 25).

وسبب تسمية إقليم الجزيرة بتلك التسمية لأن نهري دجلة والفرات محاطة بها من جميع جهاتها الأربع، كما أطلق عليها تسمية أخرى ألا وهي جزيرة (أقور)(القرويني، 1998م، ص. 35) (الحموي، (د.ت)، ص. 22) ومن المعروف تاريخياً أن إقليم الجزيرة كان آنذاك جزءاً منها خاضعاً للإمبراطورية البيزنطية والقسم الآخر خاضعاً للإمبراطورية الساسانية ومن المعروف تاريخياً أن كلا الإمبراطوريتين كانت في صراع وحرب دائمة عانى منها المجتمع فعاشوا في ظروف سيئة من جميع الجوانب، وكان للموقع الجغرافي لإقليم الجزيرة أثر كبير في هذا الصراع قبل ظهور الإسلام من أجل السيطرة عليها وبسط هيمنتهم (الصالح، 1965م، صفحة 21) . وعندما حدثت الفتوحات الإسلامية أخذ المسلمون يفتحون المدن الواحدة تلو الأخرى ووصلوا إلى إقليم الجزيرة لما لها من أهمية استراتيجية كبيرة؛ إذ أصبح من الضرورة الحتمية أن يفتح الإقليم استكمالاً للفتوحات؛ وبهذا تم فتح المناطق بتتابع من سنة ١٣ - ١٥ هج، ثم توجهوا سنة ١٧ هج إلى شطر الجزيرة، وقد استغرقت الفتوحات للإقليم بقيادة عياض بن غنم صلحاً حتى سنة ١٩\_ ٢٠ هجرية، وعقد معهم اتفاقيات (البلاندي، 2000م، ص. 108) (اليقوي، 1974م، ص. 140) (ابو يوسف، 2009م، ص. 193) (الكوفي، 1986، ص. 259).

وبالتالي أصبحت فيما بعد ولاية قائمة بحد ذاتها؛ إذ تولى إمرتها كل من محمد بن مروان ومسلمة بن عبد الملك وفي الوقت ذاته كانوا هؤلاء ولاية على إمارة أخرى مثل أرمينيا، وقد أشرنا آنفاً أن هذا الإقليم يضم في طياته عدداً من الكور منها ديار ربيعة، ومضر، وديار بكر (ابن رسته، 1891م، ص. 107) حظي إقليم الجزيرة بوفرة الموارد الطبيعية منها أراضيها الخصبة، ووفرة مياهها وهذا ما أشار إليه المقدسي بقوله: "...والمياه واسعة أكثرها من دجلة والفرات والخابور" (المقدسي، 1991م، ص. 144) ، وكانت الأحوال العامة في إقليم الجزيرة متنوعة إذ ضم في مدنه العديد من العناصر السكانية تمثلت بالعرب المسلمين، والأتراك، والأكراد، والأرمن.. الخ فضلاً عن الفئات الدينية الأخرى مثل المسلمين وغير المسلمين؛ وكانت هذه العناصر والفئات تعيش مع بعضها وفق الشريعة الإسلامية والتسامح الديني الذي منحه الإسلام لهم، فكانت أوضاعهم العامة في بعض الأوقات مرتبطة حسب الولاية الذين يتولون أمر الإقليم ومدنه، وكان أغلب القبائل العربية والإسلامية مساندة ومساعدة للمسلمين أيام الفتوحات الإسلامية، أما الفئات الدينية الأخرى من غير المسلمين، فقد كان موقفهم السياسي متأرجحاً في بعض الأحيان؛ إذ شاركوا مع المسلمين في الفتوحات

والمعارك، وبعضهم الآخر نجدهم معارضين لحكم المسلمين، فكانوا ينتفضون بين الحين والآخر (الطبري، 2005م، ص. 677) وقد حظي إقليم الجزيرة بأهمية كبيرة من قبل حكامها؛ لكونها تضم أراضي زاخرة بالخصوبة والتنوع بمحاصيلها الغذائية (المسعودي أ.، 1965م، ص. 37). وبهذا شكل إقليم الجزيرة أهمية كبيرة كونه يضم العديد من المدن والمناطق والقرى التي شكلت فيما بعد نواة أساسية يدار عن طريقها الإقليم.

ثانياً: نبذة تعريفية عن كتاب تاريخ الزوقيني المنحول للمؤرخ ديونيسيوس التلمحري

يُعد كتاب تاريخ الزوقيني من المصادر السريانية المترجمة المهمة في التاريخ لاسيما وأنه ينفرد بروايات تاريخية مهمة حدثت في العصور التاريخية المختلفة، وتشير الدراسات إلى هوية واضع هذا الكتاب، وهو أحد الرهبان السريان اليعاقبة الذي عاش في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، ولد في قرية في حلب تدعى الزوق، وتربى في دير الزوقين في ديار بكر قرب آمد (الحموي، (د.ت)، ص. 165) (التلمحري، 2006م، ص. 9) وتشير الروايات التاريخية إلى أن الصفحات الأولى من الكتاب قد ضاعت وبالتالي ضاع اسم مؤرخ هذا الكتاب، ومن ثم نجد أن الباحث السويدي نقل عن السمعاني أنه قد نسب هذا الكتاب إلى البطريرك ديونيسيوس التلمحري الذي هو: "أحد أهم أشهر مؤرخي القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي" (السويدي، 1984، ص. 68- 69) ، ولم يرد اسمه الحقيقي واسم أسرته ولا الأحوال العامة التي ولد فيها ولا لقبه، وكذلك تاريخ مولده في كتب التاريخ ، ومنها التراجم، ولكن يُرجَّح أن ولادته تنحصر ما بين ١٥٧هـ / ٧٧٥م إلى ٢٠٢هـ / ٨١٨م، وهذا يعني أنه ولد في نهاية القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي في بلدة تعود إلى إحدى قرى العراق تدعى بـ(تلمحرة أو تلمهرة)، وتوفى سنة (٢٣١هـ / ٨٤٥م ) ، وقد حدده مؤرخنا موقع تلمحره بقوله: "تقع بين حصن مسلمة بن عبد الملك والرقبة بالقرب من نهر بلخ أحد روافد نهر الفرات". (التلمحري، 2006م، ص. 11) ؛ (مراد كامل، 1987، ص. 14) أي تقع في إقليم الجزيرة وبالتحديد الرها، ووصف أحد الجغرافيين هذه المدينة بقوله: "تقع على الجانب الشرقي من نهر الفرات في إقليم الجزيرة" (الاصطخري، 2004م، ص. 54) وكانت تلك المدينة تزدهر بالعلم والمعرفة وكان مؤرخنا أحد الرواد الأوائل في سلسلة كتاب اليعاقبة؛ إذ تلقى تعليمه في مدرسة دير قنسرين، ودير قنسرين حدد بأنه يقع على "الضفة الشرقية غربي مدينة حلب حيث اشتهر ذلك الدير بإقبال طلبة العلم لأنه يعد أكبر مدرسة لاهوتية آنذاك" (برصوم، 1978، ص. 20) ينظر لمزيد من المعلومات والتفاصيل (المفرجي، 20253)، إذ كان آنذاك مركزاً ومشعلاً للعلم والمعرفة "لأنه أول من عثر عليه في المكتبة الشرقية وقد اقتفى أثره عدد من المستشرقين منهم وليم رايت في كتابه "مختصر تاريخ الأدب السرياني" والأب شابو الذي اعتمد بذلك على تقسيمات المستشرق رايت في كتابه، في الوقت ذاته ظهر رأي معارض لما جاء به السمعاني وما أيده المستشرقين السابقين الذكر، وقد تبنى هذا الرأي فرانسوا وثيودور نولدكه حينما لم يجدوا دليلاً قاطعاً وثابتاً أنه التلمحري وقد أسنده بنصوص تاريخية، ورجحوا بذلك أن هذا الكتاب للراهب يشوع العمودي؛ وذلك لوجود اسمه في المخطوطة وكان قبل ذلك أحد الأبياء الذي يدعى الأب بول مارتان قد أشار إلى ذلك لكن لم يلق تأكيداً وتأييداً لرأيه (السويدي، 1984، ص. 68 - 69) ولهذا تبنى هذا الرأي أنه أي (يشوع العمودي) هو الذي وضع هذا السفر واستدل بذلك الرأي في ص السبع الأولى حينما أشار إليه رجل الدين سرجيس وهو رئيس الدير؛ فبقي اسمه منكوراً في ذيل الرسالة ولا نعرف عن حياة الراهب يشوع أي شيء سوى أنه كان آنذاك نزيل دير الزوقين ويدرس في مدرستها المجاورة للدير فجاء في رسالته هذه ذكر المحن التي حصلت في مدينة الرها وآمد ، وبلاد ما بين النهرين، وعندما قورنت كتابات الطرفين فوجد أن هناك اختلافاً واضحاً بينهما (السويدي، 1984، ص. 71 - 72) وقد

أشار في مقدمة كتابه هذا أنه ذكر من بدء الخليقة ومولد سيدنا إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، وذكر عدة ممالك منها مملكة نينوس الذي شيّد مدينة نينوى وكانت مدة حكمه ما يقارب اثنين خمسين عاماً حتى تسلسل في ذكر ملوك وسنوات حكمهم وقد نوّه إلى أنه أخذ من كتاب القديس يعقوب أسقف آسيا سنة ( ٨٨٥ يوناني / 53هـ / ٥٧٤ م ) ، وقد أشار لشيء مهم في هذا الكتاب وهو أنه لم يجد أحداً يدوّن أخبار أبناء جلدته في هذه المدّة، وما مرّوا به من ويلات على يد الأشوريين والبرابرة؛ وهذا ما دعاه أن يضع هذا الكتاب ليبيّن أحوالهم العامة وما أصابهم من المرارة والويلات ليكون سبيلاً للتعاطف وأن يخافوا الله ولا يغضبوه وأن يسلكوا طريق الحق ، ثم يضيف قائلاً: "فتشنا كثيراً وبأماكن كثيرة والحقيقة لم نجد شيئاً مكتوباً إلا النزر اليسير من الأخبار والذي سمعناه من الشيوخ القدماء الذين رأوا ومروا عليه وما نحن رأيناه بأعيننا مما جرى من الأمور فأردنا أن نجعلها بهذا الكتاب" (التلمحري، 2006م، ص. 5).

أما منهجية هذا الكتاب للمؤرخ فكان متأثراً إلى حد كبير في كتاباته بالحواليات البيزنطية، ويقصد بها: "هي نماذج تاريخية سار عليها المؤرخون السريان البيزنطيون على خطى أسلافهم اليونان ويمرور الوقت تسربت تلك الأنماط وأصبحت فيما بعد ألوان وخليط متنوع من العادات المسيحية والرومانية وبالتالي أعطتنا شكلاً مفارقاً لما عند اليونان حيث انعكس هذا الأمر على كتابات تواريخ الكنيسة العامة وبالتحديد بين القرنين الرابع والسادس الميلاديين إذ لاقت تلك الحواريات رواجاً واسعاً في أواسط العلمانية و الاكليريكية (اسحاق، 1973، ص. 4-5) (السويد، 1984، ص. 71-72) ولاسيما النصوص التي أولت الجوانب الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية أهمية كبيرة؛ إذ اقتبس جزءاً غير قليل لتغطية الأحداث التاريخية التي مزج فيها بين الجانبين التاريخ الديني والمدني فقد ابتدأ في قصة الخليقة مروراً بالملوك والأباطرة وبابل واليونان والأبء الى عصره مقتفياً بذلك أثر مدونين الحواريات لا سيما أوسابيوس القيصري، وسقراط، وغيرهم (السويد، 1984، ص. 76) وما يؤخذ على تاريخه المنحول لديونيسيوس التلمحري أنه لم يدقق في ضبط السنوات ولما وصل الى سنة (10هـ / 720م) بدأ يذكر الحوادث الدينية والمدنية والحواريات الطبيعية، والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فقد أورد وقائع مفصلة تتعلق بنهايات الدولة الأموية وبداية الخلافة العباسية الى زمن الخليفة المهدي (158-169هـ / 775-785م) فقد انفرد بروايات تاريخية مهمة أسدل عن طريقها الستار عن النكبات التي أحاطت بإقليم الجزيرة (التلمحري، 2006م، ص. 9) ، وعن طريق النصوص الواردة في تاريخ الزوقيني نجد أنه قد تغلّبت عليه العاطفة لأبناء جلدته وركّز على العجائب، وقد ذكر أصحاب الخوارق الإعجازية ثم ذكر الآيات الإنجيلية ثم ذكر بعض الروايات التي تم نقلها من مصادر رهبان الأديرة، فضلاً عن المشاهدة العيانية اليومية (التلمحري، 2006م، ص. 46-47 ، 135 ، 143)، أما فيما يخص الأسلوب الإنشائي فإن الزوقيني في كتابه هذا لا يخرج عن الأساليب ذات الطابع الجاف والمعقد فضلاً عن الإسهاب في ذكر التفاصيل وقد تطبع بالطابع الديني أي بمعنى أنه يطبق الكوارث الطبيعية والأوبئة على النبوءات الواردة في الإنجيل (الكتاب المقدس) وهذا تعبير عن نظريته الشاملة للتاريخ الإنساني انطلاقاً من قوله: "ميدان عمل الله ونشاطه وأن كل ما يصيب الناس خير وشّر من عسر ويسر لا يخرج من دائرة معرفته وسماه أن شاء اذوى الحقول بالبرد وأن شاء أنيع في حماره القبط" (التلمحري، تاريخ الزوقيني، 2006م، صفحة 205) ولهذا نجد أنه يرى "أن الضيقات والأوبئة والحروب الا هي عصاً بيد الله يرفعها على خلقه لردع الآثم عن إثمه وإيقاف الشرّ عند أول حدوده" ثم يضيف قائلاً: " ان الناس رهينة بيد السلطان أن صلح صلحوا وأن ساء أسأؤوا" (التلمحري، 2006م، ص. 140-146، 154-155، 223، 243).

أما أهمية هذا التاريخ فهو يكمن بأنه أحد أهم التواريخ المحلية التي درست تاريخ إقليم الجزيرة وبلاد ما بين النهرين؛ إذ دون المؤرخ ردود أفعال المجتمع السياسية ضد الدولة العباسية، وفصل لنا عن طريق شروحاته الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي أدت بنهاية المطاف بظهور الخوارق فضلا عن تقديم معلومات عن طبيعة الأرض ونوعها، وذكر طبقات المجتمع ذات المستويات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة، ولهذا يؤكد الأب سهيل قاشا في تمهيده عن هذا الكتاب أنه لا يقل أهمية عن كتاب تاريخ الموصل لأبي زكريا الأزدي من حيث كونه تاريخا محليا لأن كلا المصدرين بحث في الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية لمنطقة إقليم الجزيرة، وكان الزوقيني يختص بالجانب الاقتصادي والأزدي بالجانب السياسي لكنهما اتفقا على طريقة جباية الضرائب والأسلوب القسري المتبع تجاه المجتمع، ثم يضيف أهمية أخرى لتاريخ الزوقيني بأنه أورد معلومات تاريخية قيمة لإقليم الجزيرة (التلمحري، 2006م، ص. 32).

### المبحث الثاني: الكوارث الطبيعية وأثرها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في روايات تاريخ الزوقيني المنحول للمؤرخ ديونيسيوس التلمحري (ت ٥٢٣١هـ / ٨٤٥م)

أولاً: نبذة تعريفية عن مفهوم الكوارث الطبيعية.

تعد الكوارث الطبيعية أحد أهم الظواهر البيئية التي تؤثر بشكل مباشر على إقليم الجزيرة لما لها من أثر عظيم وكبير في حياة العامة سواء كان في الجانب الإيجابي أو السلبي، لا سيما وأن حياة المجتمع مرهونة بالتغيرات التي تحدث في النظام الكوني مما يؤدي بالتأثير على جميع جوانب الحياة ومنها الاقتصادي والمعيشي، وبالتالي يؤثر على البنية الاجتماعية والديموغرافية، وانطلاقاً من ذلك شهد إقليم الجزيرة تقلبات طبيعية عديدة أثرت بشكل أو بآخر على حياة المجتمع، وعليه لا بد أن نعطي نبذة تعريفية عن ماهية الكوارث وماذا يقصد بها؟ قبل الخوض بالحديث عن الروايات التاريخية التي وردت في طيات تاريخ الزوقيني المنحول للمؤرخ ديونيسيوس التلمحري، وقد جاء تعريف الكوارث في كتب اللغة ومنهم ابن منظور (ت ٧١١هـ) بقوله: "كل ما يفيد الغم وما يفرع عند حدوث وكرثته الكوارث: اقلته" (ابن منظور، 1993م، ص. 180) (الزمخشري، 1998م، ص. 128) في حين عرفها أحد الباحثين المعاصرين بقوله: "الانتقال المفاجئ من حالة لأخرى دون تدريج وتكون إما سلبية أو إيجابية وإما جماعية أو فردية وتسبب خسائر بشرية عديدة ومادية" (العبيد، 2007م، ص. 168) وعناصر الكوارث الطبيعية تضم: "الماء والهواء والنار والتراب وعند وقوع الكارثة لا يستطيع أي فرد أن يفعل شيء سوى حصر الأضرار ومحاولة تقليل الخسائر الناتجة عن الكوارث" (العبيد، 2007م، ص. 168) ولعل أبرز وأهم الكوارث هي الزلازل والهزات الأرضية، والفيضانات والسيول، وارتفاع درجات الحرارة، وارتفاع نسبة الجفاف وانحباس المطر، الثلوج والبرد، وسقوط الشهب... الخ (المسعودي ع.، ص. 5)، فالكوارث تؤثر على سلوك الإنسان وطريقة حياته؛ وهذا ما سنلاحظه عن طريق إيراد الروايات التاريخية (تاريخ الزوقيني) وبيان العلاقة الوثيقة بين المؤثرات المناخية والبيئة على طبيعة حياة الإنسان في إقليم الجزيرة وما ينتج من الكوارث والأوبئة على جوانب الحياة بشكل عام لاسيما في جوانب الزراعة والإقتصاد، فإن ما تسببه الكوارث الطبيعية من خسارة المحاصيل وفقدان المخزون الغذائي يؤدي في نهاية المطاف إلى ارتفاع الأسعار في الأسواق وبالتالي يزداد عدد المجاعات، وبهذا يؤثر على السكان وتعطيل الحياة التجارية بشكل عام والحياة بالمجمل بشكل خاص.

### ثانياً: الكوارث الطبيعية وأثرها على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في روايات تاريخ الزوقيني

وردت روايات في تاريخ الزوقيني مفادها أن إقليم الجزيرة تعرّض لكوارث عديدة لعل أهمها (الهزات الأرضية)، ومنها حدوث هزة عنيفة بالرها بقوله : "أن في سنة (100هج/ ٧١٨م) حدثت هزة أرضية عظيمة ومخيفة أقلت سكان المدينة" (التلمحري، 2006م، صفحة 83)، ثم يضيف المؤرخ حدوث هزة أخرى وبالتحديد سنة (124 هـ / ٧٤٢) بقوله : "وقعت زلزلة عنيفة ومخيفة في أماكن كثيرة في المعابد والكنائس وفي أبنية عظيمة ... وقد تهدمت منازل قديمة على سكانها بينما تلك التي صمدت ولم تندثر في تلك الهزة احتفظت بأطلالها وحتى استشعر الأهالي الخوف من الرب كلما نظروا الى تلك الهزة الارضية" (التلمحري، 2008م، ص. 46)، وقد بيّن لنا المؤرخ أن هناك اضرار جسيمة نجمت عن الهزة الارضية تمثلت بتهديم العديد من المباني والكنائس والهياكل لعل أهمها "الكنيسة القديمة" في الرها التي ورد ذكرها ، فضلاً عن سقوط العديد من الضحايا نتيجة لسقوط البيوت الكبيرة التي يقطنها العديد من السكان، والتي لم تُهدم بل أصبحت فيها علامة بارزة تمثلت بالتصدع والتشقق حتى وصل بهم الحال أنه كلما مر أحد من هذه البيوت تدنّر هول الكارثة، ولم يقتصر الأمر على البنى التحتية وإنما تعداه كما يبين الزوقيني في تاريخه إذ يبست البساتين وخربت العديد من أشجار الفاكهة (التلمحري، 2006م، ص. 83). وهذا دليل على الأضرار الجسيمة التي لحقت بالمزارع والبساتين بحيث أثر على الجانب الاقتصادي للمدينة.

وفي سنة (124هـ / ٧٤٢م) ، حدثت هزة أخرى لكن من نوع آخر، قال: "حدثت هزة أرضية قوية جداً واستمرت طوال الليل والأرض كأنها تنتهد وتخور مثل الثور وقد سمع ذلك الصوت كثيرون، وفي الصباح عندما حان وقت إقامة القداس دخل الشعب كله للكنيسة الا أنها تهدمت وقضت على الجميع ولم ينبج من الموت المحتم إلا الكاهن الذي كان يقيم الذبيحة كما أن التل الذي كانت الكنيسة عليه كان يهدر هديراً قوياً أستمروا حوالي ثلاثين يوماً" (التلمحري، 2006م، ص. 88) وقد أضاف التلمحري وصفاً آخر بقوله: "حدثت هزة أرضية عنيفة وشديدة طوال ليلة الأحد كنا نسمع الصوت الصادر منها كما لو كان صوت خوار الثور وعندما جاء ميعاد القداس هرع الأهالي ودخلوا الكنيسة " ، وتقع هذه الكنيسة كما ذكرها الحموي بين الموصل ونصيبين. (الحموي، د.ت)، ص. 109)، "وقد تهدمت من شدة الزلزال الذي حدث على حين غفلة ولقى الأهالي الذين تجمعوا فيها مصرعهم ولم يخرج أحد منها حياً فيما عدا القس ... " (التلمحري، 2008م، ص. 50 - 51).

ثم تتوارد النكبات على آمد والرها في فصل الشتاء بسبب الثلوج ، والفيضانات، والرياح والبرد؛ إذ وردت رواية : "سنة (125هـ/٧٤٣م) انكسر الجسر الذي على دجلة عند مدينة آمد بسبب قساوة فصل الشتاء وكثرة الثلوج التي سقطت فيها لأيام كثيرة ... " (التلمحري، 2006م، ص. 88) ويضيف صاحب كتاب الأزمان: "وكان شتاء سنة ١٢٥هـ / ٧٤٣م قاسي حيث تساقطت الثلوج وتراكمت فوق الأرض حتى شارفت المخلوقات على الأرض بالهلاك، وفي جوار آمد كان هناك جسراً على دجلة تحطم حتى هب الهواء البارد وهبت الرياح بشكل قوي وهطلت الأمطار بغزارة كبيرة وحصلت فيضانات بكل الأنهار" (التلمحري، 2008م، ص. 52) ويصف لنا صاحب كتاب الزوقيني أنه في هذا العام كان لتساقط الثلوج أثر كبير على الأحوال العامة للمجتمع آنذاك فقد بين نتيجة هذه الكارثة بقوله: "مما أدى إلى هلاك أغلب الحيوانات والطيور لشدة الجوع وحدث البرد القارس، والرياح الشديدة العاتية، وغزارة الأمطار التي أذابت اغلب الثلوج فازدادت مناسيب الأنهار كلها وخاصة نهر دجلة الذي حدث فيه فيضان عظيم خرّب عدد من

المدن والقرى، وجرفت المياه أمامها أخشاباً كثيرة وكبيرة الحجم والشدة وبسبب قوة الفيضان انكسر الجسر الكبير عند مدينة آمد وتعلقت به الأخشاب الكبيرة التي تراكمت بعضها فوق بعض مسافة خمسة أو ستة أميال.. (التلمحري، 2006م، ص. 88)

ويذكر التلمحري كذلك: "أن هذه الفيضانات أبادت أعداداً غفيرة من البشر وخربت أماكن لا تحصى، وكان هذا الفيضان قوياً شديداً جداً فنقل كثيراً من الأخشاب من أماكنها حتى أن أشجاراً كثيرة اعترضت مجرى النهر بجانب آمد عند الجسر الكبير وتكدست الأخشاب الواحدة فوق الأخرى حتى وصل امتدادها إلى خمس أميال أو ستة، ونتيجة لقوة قطع الأخشاب وصلابتها وشدة هذا الفيضان تحطم ذلك الجسر وانقلب بسبب تدفق المياه ومنذ ذلك الحين لن يُعَدَ بناؤه..." (التلمحري، 2008م، ص. 52)، ثم يُذكر أن هذا الجسر لم يشيد بعد ذلك لأسباب منها أن الخليفة هشام بن عبد الملك (105-125هـ/724-743م) الذي كان قد جمع عدداً من المهندسين لإعادة بناء الجسر، إلا أنه قد عاجلة الأجل المحتوم فترك أمر ترميم الجسر (التلمحري، 2006م، ص. 88) وقد استوقفتنا تلك الرواية ومدى صحتها لأن هذا الجسر هو المعبر الوحيد للناس وانتقالهم للضفة الأخرى لممارسة حياتهم الطبيعية والمعيشية، وأن تحطم هذا الجسر وعدم ترميمه سيكون مؤثراً على الجانب الاقتصادي والاجتماعي وكذلك الثقافي منه؟ هذا من جانب، ومن جانب آخر إذا توفي حاكم من حكام المسلمين في تلك المدة هل تتوقف الحياة ولم تُعمر ما خربته الكوارث الطبيعية؟، وكأن كلام المؤرخ هو إحياء بأن حكام المسلمين في تلك المدة كان جل اهتمامهم ينصب على تهميش عامة الناس، والاستبداد عن طريق جباية الضرائب وبالأسلوب القسري، وهذا ما بينه في طيات كتابه بقوله: "إن هؤلاء العرب كانوا يظهرون مثل السوس في الخشب وسط هؤلاء الفلاحين المساكين ويأخذون أراضيهم ومنازلهم ومحاصيلهم ومواشيهم لدرجة أنهم كانوا على وشك أخذهم هم أنفسهم وكذلك أبنائهم عبيداً... وأن مكرهم لم يقف عند هذا الحد فقد فرضوا ضريبة على الدخول الأخرى واحداً واحداً كل واحد حسب رغبته، وأتهم كانوا يعاملون السكان المسنين والمحترمين دون رحمة ودون احترام..." (التلمحري، 2008م، ص. 173-174) إن هذه الرواية أن صحت فهي تعبر عن موقف فردي وليس عاماً، أراد أن يبين المؤرخ في صفحات كتابه مدى الأذى والاستبداد الذي ألم بهم أي (الطوائف والأديان غير المسلمة) على يد الحكام المسلمين.

وفي السنة ذاتها حصلت كارثة أخرى في الرها وهي فيضان في نهر (ديسان)، والديسان: "كلمة سريانية وتعني القافز وترجع أصولها إلى أصل أعمالها و يجري هذا النهر من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ثم يسير بمحاذاة مدينة جلاب ويصب في الباليخ". (التلمحري، 2008م، ص. 52) أو ما يسمى بالنهر العظيم حيث كان يمر هذا النهر بوسط مدينة الرها مما أدى إلى حدوث سيل عارم سد منافذ المياه حيث أغلق سد الجهة الشرقية من السور مما أدى ارتفاع مناسيب الماء، وفي نهاية المطاف أدى إلى إلحاق الضرر بأسواق المدينة، وهذا الأمر حصل في وقت النهار ولم يهلك أحد منه، ولكن كان له تأثير على الجانب الاقتصادي حيث خربت حوانيت وأسواق وقد سقطت العديد منها وهرب السكان حتى أخذت المياه مجراها واتخذت منفذاً لها نحو بر مدينة الرها وحران وأجرت خراباً كبيراً في تلك الربوع (التلمحري، 2006م، ص. 88) (التلمحري، 2008م، ص. 52) وفي سنة (131هـ/748م)، أشار التلمحري إلى حدوث هزة أرضية أخرى، وقد ربطها المؤرخ بالجانب الديني بسبب الأثام وانغماس النفس بالخطايا، وكان نتيجة الهزة الأرضية التي وصفها بقوله: "إذا حدث صوت مربع ليلاً كصوت الثور حينما يصرخ ويُسمع خواره من بعيد فلما كان الفجر أمر الأسقف بأن يجتمع الناس جميعهم ويخرجوا للدعاء وخرجوا جميعهم إلى خارج المدينة إلى الهيكل الموجود هناك..." (التلمحري، 2006م، ص. 95).

وهنا نجد أن الزوقيني قد ربط الظواهر الكونية بحدوث الكوارث الطبيعية في إقليم الجزيرة فقد أشار إلى أن في سنة (123هج/ ٧٤١م) وبالتحديد الأول من كانون الثاني يوم الجمعة تساقطت النجوم في وسط السماء على شكل كرات تشبه النار ومن جميع الجهات وكانت هذه إحدى العلامات التي تحل بالأرض الخراب والكوارث (التلمحري، 2006م، ص.97) كما حصل بعد ذلك تساقط الثلوج في ثلاثة فصول متتالية كانت شديدة البرودة، ونتج على أثرها هلاك المواشي والحيوانات والطيور، ووصف لنا مستوى الثلوج إذ بلغ خمسة أمتار و دام هذا الحال ما يقارب تسعين يوماً حتى كادت الأنفس تهلك جميعها إذ نفذت أعلاف الحيوانات وقدموا خزنيهم من الحنطة والشعير أعلافا لحيواناتهم لكيلا تهلك من الجوع، كما أثر البرد والثلج على أشجار الزيتون والكروم إذ يبست ولم يبق شيء يذكر؛ مما أدى إلى تجمد مياه دجلة حتى وصفه بحد تعبيره : "كما أن دجلة جمدت مياهه، حتى قيل أن قافلة من الجمال عبرت فوقه ولم يتأثر تحت أرجلها" (التلمحري، 2006م، صفحة 101)، و في سنة (130-131هـ/ ٧٤7-٧٤8م) وقع في جبل أزال وأزال (تقع هذه بين حدود آمد والجزيرة وكان يدعى ب (ماسيس) في المنطقة الغربية)، زلزال عنيف في جوف الليل، وسمع خوار يشبه إلى حد ما خوار الثور حتى خرج الناس في الصباح الباكر للصلاة درءاً للكوارث التي أحاطت بهم نتيجة الظلم وأخطاء البشر، وقد تصدعت الأرض وهب الناس لأداء الصلاة بموكب خارج المدينة إلى الكنائس في مدينة مبوج في المنطقة التي تقع على جانب الغربية ويصف التلمحري الحادثة بقوله: "وكان يسير بنفسه في مقدمتهم وما كادوا يصلون إلى الكنيسة ويدخلونها جميعاً كالماعز إلى الحظيرة، ويقومون بتأدية الصلاة حتى وقعت هزة أرضية أشد وأقوى فتهدم البناء عليهم وأبادهم جميعاً مع أسقفهم ، ولم يبق أحد منهم حياً، وأصبحوا فجأة كلهم فريسة الهلاك والعذاب، لقد هلك الحق مع الباطل" (التلمحري، 2008م، ص. 67-68)، هذه الرواية أيضاً تحتاج إلى وقفة؟ وهو أنه: لماذا يقصر المؤرخ حول الكارثة على فئة دينية معينة؟ وهل تعرضوا وحدهم للكوارث من دون الفئات الدينية الأخرى؟ ولماذا دائما يعزو هذه الكوارث للجانب الديني؟ وهل في نظره أن الله المنتقم الجبار يعاقب البشر على أفعالهم في حينها؟ ونرى أنّ نظرة هذا المؤرخ دائما سلبية، وأن الكوارث هي شر وعقوبة إلهية على الناس، ولم ينظر إلى الجانب الآخر ربما يكمن الخير في البلاء وأن هذه الكارثة إذا فسرناها من الجانب الديني نجدها عوناً ومساعدة إلهية للبشر لكنهم ربما تكون عقولهم قاصرة يجهلون ذلك الأمر.

وفي هذه السنة نفسها سقط ثلج غزير كثيف وتراكم حتى وصل السمك ما يقارب خمسة أمتار في دير القنطرة، وهو دير قديم وصغير يقع بالقرب من آمد منقور في صخور الجبال (برصوم، 1978، ص. 517) بقي على هذه الحالة مدة تسعين يوماً حتى أن العديد من أصحاب المواشي والفلاحين استنفدت الخزين الغذائي وأخذوا يعتمدون على القمح المعد لهم لمواشيهم لإنقاذهم من الموت، ولكن هذا الأمر لا يجدي نفعاً إذ حدث جليد وبرد وصقيع حتى دُمّرت المزارع والأشجار والكروم، وأشجار الزيتون وأخذ الصقيع يُجمد نهر دجلة (التلمحري، 2008م، ص. 76-77)

وفي سنة ١٣٩هج/ ٧٥٧م حدثت هزة أرضية وتحديدا في الثالث من آذار يوم الثلاثاء، ففي منتصف الليل ظهرت الهزة في إقليم الجزيرة ووصف لنا الزوقيني ذلك بقوله: "غارت في باطن الأرض ثلاث قرى وحدث من جزاء ذلك شبه عمود كثيف من الدخان وجميع سكان تلك الكورة عُصروا كالعنب في المعصرة..." ومن الجدير بالذكر أن الزوقيني ربط هذه الكارثة بالجانب الديني أيضاً نتيجة الخطايا التي ارتكبتها البشر فقال: "إن أماكن أخرى خربت الهزة لكثرة الخطايا فخرابا تخرب الأرض وذوباناً تذوب وترتجف كالعزلة من جراء الخطايا" (التلمحري، 2006م، ص. 114) كما أن الزوقيني أيضاً ربط حصول الكوارث الطبيعية عن طريق

الحوادث الكونية وما يحصل من تحرك الأجرام السماوية ففي سنة ١٤٣ هـ/ ٧٦٠م وبالتحديد في يوم الثاني والعشرين من شهر آذار قبل بزوغ الفجر بظهور علامة في جوف السماء في الجانب الشمال الشرقي من برج الحمل وكانت تلك العلامة تشبه إلى حد ما المكنسة ، كما ظهرت علامة أخرى في الجنوب وقد استمرت ذلك ما يقارب خمس عشرة ليلة، وفي يوم عيد العنصرة أو ما يسمى بعيد الخمسين (النبطي قسطي): "ويقع هذا العيد بعد عيد يوم القيامة بخمسين يوم وعندهم أن في هذا اليوم تجلى فيه عيسى بن مريم (عليه السلام) لتلاميذه وهم الحواريون ويسمى بذلك عيد العنصرة" ينظر (المسعودي، (د.ت)، الصفحات 1، ص. 249) (البيروني، 1923، ص. 308)؛ (شيخو، 1960، ص. 523) وكان رأسها الكبير كثير الضوء على حد تعبيره، أما في الطرف الذي يميل إلى الجنوب فكان عريضاً ومظلماً وكان يسير نحو الشرق والشمال، وهذا كان نذير شؤم على حدوث كوارث وأوبئة واضطرابات آنذاك (التلمحري، 2006م، ص. 115)، شكلت فيما بعد تهديداً صارخاً للجميع في إقليم الجزيرة آنذاك.

ففي سنة ١٤٦ هـ/ ٧٦٣م وبالتحديد في شهر آذار حصل فيضان كبير وعظيم جداً في نهر دجلة، ولا سيما في نصيبين، وكانت من نتائجه وقوع خسائر في مدينة الموصل بسبب ارتفاع مناسب المياه ودخولها للأسواق والبالغ عددها ثلاثة، وقد أهلكت فيها البهائم فضلاً عن انجراف العديد من البيوتات القديمة مما أدى بالناس السير بالقوارب التي تطوف بالمياه وقد وقع أشد أنواع الخراب بالمناطق التي غمرتها المياه (التلمحري، 2006م، ص. 123) (التلمحري، 2008م، ص. 102).

وفي سنة 150 هـ/ ٧٦٧م وبالتحديد في شهر أيار ظهرت هناك ظاهرة أخرى تمثلت بظهور قوس في وسط السماء وكأنه بيد رجل مستعد للقتال وقد علل الزوقيني بقوله: "وتدلل التهديد والغضب الذي سيحل على العالم وكان ظهورها في الساعة الثالثة من نهار يوم الأحد..." وقد علل ظهور تلك الظاهرة بأنها: "بعد ظهور القوس ظهرت علامة أخرى تشبه قضيباً أبيض اللون في الجهة الغربية من السماء وأخذ بالامتداد حتى وصل رأسه المتجه من الشرق إلى وسط سمكه كسمك الحبل... أنه قضيب الغضب..." وبالتالي شكلت تلك العلامات ايزان بظهور الكوارث الطبيعية والأوبئة والحروب والتي شكلت فيما بعد تهديداً صارخاً للجميع إقليم الجزيرة، كما حدث أيضاً في (150 هـ/ ٧٦٧م) ظهرت علامة أخرى من الجهة الشمالية الشرقية من المشرق حتى المغرب: "وكان شكلها يدل على شدة غضب الله إذ كانت كخطوط ملونة بالأحمر والأخضر والأسود والأصفر ظهرت من الأسفل وشرعت ترتفع نحو الأعلى... فجعلها المؤمنون علامة تهديد ووعيد بغضب شديد..." (التلمحري، 2006م، ص. 171 - 172) .

وفي سنة ١٥٢ هـ/ ٧٩٦م حدث في شهر أيار ظاهره كونية بقوله: "ظهرت في السماء من الجهة الشمالية الشرقية علامة أشبه بالمكنسة وكانت كلما ارتفعت بالظلمة أصبحت غباراً تجمعها أمامها، وعند الفجر ظهر لها ذنب انحدر فوق الأرض، أما سيرها فكان بطيئاً جداً حتى دخلت في المدار الذي في لدائرة التي في السماء فغابت وكأنها ابتلعته... كأنها الكناس الذي يدخل للبيت فيجمع أوساخه بكنسه إياها..." وهنا نجد أن الزوقيني وصف مستوى التنبؤ بوقوع الحوادث ومنها ما وقع في فصل الشتاء من سقوط الثلوج إذ غطت الأرض مما أدى إلى هلاك الحيوانات حيث أبيدت الأغنام والمواشي مع رعاتها، كما أن الرياح القوية الباردة التي هبت من جهة الجنوب الشرقي لمدة ثلاثة أيام بلياليها مع سقوط الثلوج هلك عن طريقه أناس عدة. ولم يعط لنا المؤرخ إحصائية بشرية عن الخسائر (التلمحري، 2006م، ص. 148).

وفي السنة ذاتها وقعت حوادث كثيرة منها سقوط الأمطار في كل مكان وفي حينها أهلكت قطيعاً كاملاً من الماعز والضأن بعد أن هبت رياح شديدة عاصفة من الشمال والغرب واستمرت ثلاث ليالٍ مصحوبة بالثلج راح ضحيتها عدد كثير من الوفيات (التلمحري،

2008م، صفحة 130) وفي سنة 156هـ/ 773م وصف لنا الزوقيني أن المنطقة قد عانت الجفاف وقد عانى سكان إقليم الجزيرة الأمرين بقوله: "وقد أوجد الزراع أنهم يمسكوا أيديهم عن بيع الغلات لا سيما الحنطة والشعير والسبب في ذلك هو أن السماء قد أمسكت مطرها مما دعا الولاة بخروج الناس بمختلف أديانهم وطوائفهم... وقد خرجوا والمسيحيون يتقدمهم اسقفهم واليهود بأجواقهم والمسلمون بشيوخهم جميعهم خرجوا للصلاة لاستسقاء فرحم الرب الناس وسقط المطر في بعض الأماكن ونبت الزرع..." (التلمحري، 2006م، الصفحات 204-205) وفي سنة 158هـ/ 774م ظهرت علامة أخرى في السماء كدليل على المصائب التي سوف تحل بالأرض فقد أشد البرد وسقطت كميات كبيرة من الثلوج مما شكل خطراً كبيراً على أشجار الكروم والنباتات حتى تلفت حقول العنب وفي حلول شهر تشرين الأول أمسكت السماء من المطر فلم يسقط في هذه السنة، وحتى دخول شهر حزيران كانت الثلوج تتساقط دون توقف، وتارة تهب رياح باردة قوية وتارة تسقط الثلوج وهنا ربط الزوقيني تلك الكارثة بغضب الرب في الأرض حتى تسببت ضيقاً كبيراً وضرراً لا يُعد ولا يحصى على السكان فكانت الرياح شديدة إذ هلكت الماشية والطيور، وهبت رياح قوية استمرت يومين بين عيد الميلاد وعيد الدنح وهو أحد أهم أعياد المسيحيين وفي معتقداتهم بهذا اليوم: "خروج السيد المسيح عيسى بن مريم من نهر الأردن بعد تعميد يحيى له ومن ثم اتصال روح القدس بالمسيح" (المسعودي، د.ت)، ص. 240، 253) وفي شهر شباط من السنة ذاتها كثر الجليد فبيست الزروع في الأرض فأصبحت حافات الجليد كالسيوف وبالتالي خربت المزروعات وسقوف البيوتات مما تسببت في أضرار جسيمة على السكان (التلمحري، 2006م، ص. 218-219، 226) (التلمحري، 2008م، الصفحات 207-208)

أن لهذه الكوارث الطبيعية أثراً بالغاً على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والمعيشية، ومثال ذلك أنها أثرت على المحاصيل الزراعية فقد عم الجفاف وتضررت الزراعة وعم القحط في إقليم الجزيرة ومن نتائجها أن حدثت مجاعة وارتفعت أسعار الحبوب لا سيما القمح وصل سعر القمح (جمع قفيز تعني مكيال) السبعة والثمانية دنانير، والأدهى والأمر أن السلطة في كل مرة تكلف عمالها بمصادرة حبوب (القمح والشعير) أينما وُجد سواء كان في الأسواق أو البيوت أو الحقول، حتى تعرض الأهالي للمجاعة، ووصلت درجة الموت، وقد تملّكهم الحزن الشديد وبالتالي أصبح المجتمع بالمجمل ضحية سياسية الدولة آنذاك، وبهذا شكلت الكوارث الطبيعية ومنها: الهزات الأرضية والزلازل، والثلوج والبرد، والفيضانات، تهديداً كبيراً لاستقرار الإنسان ووجوده حتى بدأت إعداد كبيرة منهم تمرض نتيجة التلوث الذي أصابهم نتيجة لهذه الكوارث، وأخذوا يموتون، وظلت هذه الأحوال واستمرت في كل مرة تحصل فيها كارثة طبيعية للإقليم (التلمحري، 2008م، ص. 55).

وهنا لابد أن نبين أمرين أولهما: أثر الدولة العربية والإسلامية في تلك المدّة تجاه هذه الكوارث وثانيهما: هل بيّن المؤرخ في كتابه هذا طبيعة العلاقة بين الخلافة والرعية أي بمعنى هل هناك علاقة وثيقة بين الدولة والرعية؟ وهل كان هناك تعاون وسعي للدولة باتخاذ الإجراءات اللازمة لحد من تأثير هذه الكوارث؟ وهل عالجت تلك الأزمات ومنها الاقتصادية والمعيشية؟ لم أجد رواية واحدة في هذا الكتاب تبين أثر السلطة العربية والإسلامية وكأنه ناقم على الحكم الإسلامي ومتمحيز لأبناء ملته وديانته، ورأينا ذلك أنه عندما يتحدث يلقي اللوم على العرب وحكام المسلمين وكل ما يحصل ينسبه إلى المسلمين والدليل على ذلك هو استدلاله بآيات من الكتاب المقدس لكل ما يحصل من كوارث وأمراض وآفات كان يعزوها إلى الجانب الديني نتيجة الخطايا التي ارتكبتها البشر، ولو تصفحنا قليلاً ما جاءت به المصادر التاريخية والجغرافية لوجدنا أن هناك العديد من الروايات التي تبين جهود حكام المسلمين

واهتمامهم بإقليم الجزيرة فهذا أبو يوسف (ت ٢٨١هـ) يذكر جهود الدولة الأموية بأحوال المدن ولا سيما في جانب الري والزراعة وتشجيع المزارعين والفلاحين في استصلاح أراضيهم الخربة فقد انتهجت سياسية الإعمار وبناء الجسور والقناطر ، وحفر الأنهار والآبار على نفقتها الخاصة (أي من بيت المال) دون أن يدفع المزارع درهم واحد (أبو يوسف، 2009م، ص. 54-55)، أما البلاذري فأوجز جهود الدولة بقوله: "كانت الجزيرة بين النهرين سبخة فاقطعها معاوية لبعض بني إخوته فلما قدم الفتى لينظر إليها أمر زياد بالماء فأرسل فيها فقال: انما اقطعني أمير المؤمنين بطيخة لا حاجة لي فيها فابتاعها زياد منه بمائتي ألف درهم وحفر أنهارها..." (البلاذري، 2000م، ص. 355-354) ، في حين نجد أن سعيد بن عبد الملك أمير الموصل قام بحفر نهر سمي بعد ذلك باسمه (نهر سعيد) وبهذا النهر أحيا أراضي واسعة (البلاذري، 2000م، ص. 183) (جعفر، 1981م، ص. 315) (علي، 1985م، صفحة 124). في حين قام الأمير مسلمة بن عبد الملك بتشييد سداً منيعاً بين الرقة وراس العين سمي بـ (سد حصن مسلمة) إذ يبلغ طوله مئتين ذراعاً أما عمقه عشرون ذراعاً وكان مبنياً من الحجارة الصلدة وكانت المياه تأتي من نهر البليخ، ويُعد هذا المشروع من المشاريع الضخمة لإرواء الأراضي الزراعية التي قامت بها الدولة الأموية آنذاك (الحموي، د.ت)، صفحة 493) (ابن حوقل، 1992م، صفحة 493) (علي، 1985م، ص. 124)، أما في أثناء حكم الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥ / ٧٢٣-٧٤٢) فقد وسعت الدولة مشاريعها وحفرت الأنهار والترع، ولعل أهمها نهر الزيتونة، وشيدت المدن وغرست الأشجار المثمرة والمتنوعة، ثم فتح مدينة بالس التي شيد عليها حصناً منيعاً ثم غرس حولها الأشجار (البلاذري، 2000م، ص. 184) وغيرها من الأعمال العمرانية، و الإروائية، والزراعية التي اهتمت بها الدولة العربية والإسلامية سواء في العصر الأموي أو العباسي، وهذا الأمر يفند ما جاء به تاريخ الزوقيني من عدم اهتمام السلطة الحاكمة بأوضاع إقليم الجزيرة آنذاك ، هذا من جانب العصر الأموي أما في العصر العباسي فقد كانت لهم جهود واضحة في إدارة الأزمات وذلك عن طريق مد شبكات الري وشق الأنهار وقنوات السدود فقد أنشأوا شبكات الري بشكل متطور مما أسهم في تقليل الفيضانات وحماية السكان من الغرق وإتلاف المحاصيل الزراعية حيث يذكر الطبري في تاريخية ان الخلفاء العباسيين كلفوا مسؤولين بصيانة دورية للمحطات والمائية ، كما أسهمت في تخزين الحبوب في مخازن خاصة لتجنب القحط والمجاعة ، كما فصلت المصادر الإسلامية حول أثر الدولة العباسية في مواجهة الازمات والكوارث الطبيعية والأوبئة والأمراض بعد حدوث ذلك عن طريق عزل المرضى وتطهير المدن من الآفات والأمراض وتوزيع المساعدات الإنسانية لهم ولذلك لتخفيف من الأضرار الجسيمة التي تتم عن هذه الكوارث هذا فضلا عن مد الجسور وتدعيم المباني مثل الرقة و الموصل ونصيبين وغيرها من المدن الإسلامية التابعة لإقليم الجزيرة .

**المبحث الثالث: انعكاس تأثير الأوبئة والآفات والأمراض على جوانب الحياة العامة لإقليم الجزيرة في روايات تاريخ الزوقيني**

**المنحول للمؤرخ ديونيسيوس التلمحري (ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م)**

انعكست ظهور الكوارث الطبيعية في إقليم الجزيرة على الأحوال العامة للمجتمع إذ تعرض الإقليم الى العديد من الأوبئة، والأمراض والآفات، التي أثرت بشكل كبير على أحوال الناس، ومنها هلاك الأرواح وخسائر في المزروعات والأحوال المعيشية بشكل عام فقد هددت هذه الأوبئة والأمراض النظام الاقتصادية ولهذا نجد أن الزوقيني في رواياته قد أشار بشكل كبير إلى تأثيرها على أحوال الناس وشكلت تهديداً مباشراً لطبيعة حياتهم بشكل عام ولعل أهمها:

أولاً: الأوبئة والآفات والأمراض في إقليم الجزيرة في روايات تاريخ الزوقيني المنحول للمؤرخ ديونيسيوس التلمحري (ت ٢٣١هـ/ ٨٤٥م) وانعكاسها على أحوالهم العامة.

تعرض إقليم الجزيرة إلى الأوبئة والآفات والأمراض التي نتج عن طريقها تدهور كبير في أحوالهم العامة فقد ذكر لنا الزوقيني أن في سنة (86هـ/ ٧٠٥م) حدث وباء الطاعون في منطقة (سروج) وهي أحد أهم المدن في إقليم الجزيرة التي تقع شرق الفرات بالقرب من مدينة الرها وهي كثير الأشجار وخاصة أشجار الكروم وتعتبر آنذاك أحد أهم معاقل الصليبيين الثاني (ابن حوقل، 1992م، صفحة 207) وكان نتيجتها أن زهق عدد كبير من أرواح الناس حتى وصل الحال بحد قوله: "...حتى إن الناس لم يكونوا يُخرجون موتاهم لدفنهم...ومات في دير مار شيلا (ويقع دير مار شيلا او مار سيلا في ضواحي سروج) (برصوم، (برصوم، 1978، ص. 502) اثنان وسبعون شخصاً" (التلمحري، 2006م، ص. 60) (التلمحري، 2008م، ص. 30) إن هذا الطاعون الذي حل بالبلاد قد هلك الحرث والنسل الأمر الذي جعل الأهالي لم تتمكن من دفن موتاهم وقد ذهب ضحية هذا الوباء ما يقارب اثنان وسبعون شخصاً، كما حلت مجاعة في سنة (99-100هـ/ ٧١6-٧١٧م) في صفوف المسلمين وكانت كما يصفها التلمحري شديدة وقاسية فاضطروا إلى أكل لحوم خيولهم ودوابهم (التلمحري، 2008م، ص. 34)، وفي سنة (107هـ/ ٧٢٥م) انتشر وباء بسبب سياسية الحكام وقد أشار إلى رواية غريبة نوعاً ما حينما فقد ورد أن يزيد أمر بقتل الحيوانات والطيور ذات اللون الأبيض ثم أصدر أمر آخر وهو الأغرب من الأمر الأول وهو قتل الحيوانات الصامتة ولا نعلم لماذا؟ وقد جاء ذلك جاء بقوله: "أمر يزيد بقتل الكلاب البيضاء والحمام والديوك والدجاج البيضاء أيضاً، ثم أصدر أمراً شديداً بقتل الحيوانات الصامتة حتى جافت الشوارع والأسواق في المدن والقرى من الجثث بسبب رائحتها الكريهة، وكانت هذه الشريعة على العكس شريعة الخالق الذي قال: (انموا واكثروا واملأوا الأرض بركة) (الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين: ١\_٢٨، أما هم فبجسارة أرادوا القضاء عليها قاصدين مقاومة الخالق..." ، وقد أصروا على تحدي ارادة الخالق عز وجل والناس من السير وفق القوانين الإلهية (التلمحري، 2006م، ص. 77) (التلمحري، 2008م، صفحة 39)، ولم يكتف يزيد بهذا الحد كما أشار الزوقيني وأنه أمر بقتل جميع الناس ذوي البشرة الإسمانجونين (لون بين الأرجواني والأحمر والأسمر وعوج العيون) وهنا كما يقول صاحب كتاب الزوقيني أن الأمر لم ينفذ بسبب تدخل بعض الوجهاء والناس الأتقياء في الأمر (التلمحري، 2006م، ص. 77) وفي رواية للتلمحري بكتابة تاريخ الأزمان يقول: "لقد امر يزيد بالقضاء على كل الرجال الشقر (يقصد ذو العيون الزرقاء) ولكن هذا المشروع فشل بفضل الذين يخشون الرب ولم يسفر عن موت أحد..." (التلمحري، 2008م، ص. 39)

وهذا النص يحتاج الى وقفة: هل الحاكم له الحق أن يقتل ما خلق الله؟ وهل أمره الله عز وجل بذلك؟ وهل نصب نفسه كحاكم بقتل خلق الله، وحسب أهوائه؟ والحقيقة مهما بلغ الأمر لا يعطى له الحق أن يقتل، فالإسلام أمرنا بحفظ دماء الناس وذلك في قوله تعالى: { أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا } {سورة المائدة آية: 32} كما أمرنا نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن الحاكم مسؤول عن رعيته أمام الله عز وجل بقوله: "أَلَا كَلُّكُمْ رَاعٍ، وَكَلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَالِدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكَلُّكُمْ رَاعٍ، وَكَلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" (ابن حبان، 1971م، ص.

كما أشار صاحب كتاب الزوقيني بأن حرباً وقعت سنة (126هـج/ ٧٤٤هـ) بين المسلمين أنفسهم ويقصد هنا المؤرخ الحرب بين الأمويين والعباسيين حيث حدث قتال شديد حتى اعطانا وصفاً بقوله: "ارتوت الأرض من دمائهم وشبعت طيور السماوات والأرض والحيوانات البرية من لحومهم، ونهب الناس بعضهم بعضاً، وحل فيهم الوباء حيث أن المرء الذي لم يأخذه السيف جرفه الجوع، وحلّ بالأرض قحط ووبيل، فالمطر لم يسقط في أوانه والزرع كأنها يبست..." وهنا اراد المؤرخ أن يبين اثر الحرب وما نتج عنها من انتشار الأوبئة والأمراض والمجاعة بين الناس بسبب القتال الذي دار بين الطرفين ، وعدة السبب الرئيس في انتشار الوباء إذ أثر بشكل كبير على حياة المجتمع ، ونتج عن طريق ذلك القحط وأصبحت مجاعة بين الناس (التمحري، 2006م، ص. 90) وبالتالي شكّلت الأوبئة والأمراض تهديداً لوجود الإنسان إذ هلك الحرث والنسل ولم يبق شيء لا سيما الثروة الحيوانية (عجيل، 2022، ص. 269)

كما أن تعرضت بعض المزارع في إقليم الجزيرة إلى (الآفات) مثل آفة اليرقان والسام فأهلكها، وقد حدث ذلك في فصل الشتاء حينما حل الجليد ،وقد وصف لنا ذلك حينما عندما أخذ أحدهم حفنة من السنابل فلم يجد حبه سليمة إذ أصابها داء ذو لون أحمر ونتج عن ذلك أن المكيال الواحد من الحنطة كان بدينار، وبمرور الوقت وصل سبع حففات بدينار واحد، وبالتالي أدت هذه الآفة الى تدهور الأوضاع المعيشية للناس، كما تعرض إقليم الجزيرة إلى موجة من الجراد الذي أتى على المزارع والحقول وأباد أكادماً كبيرة في إقليم الجزيرة حتى وصف لنا الحالة بقوله: " فكان إذا دخل الحقل الجيد والسمين بالسنبل إذابة وأبدله وكأنه لم يكن، ولو كان المرء يأخذ سنبلة ويظنها سنبلة سمينه جيدة عندما يفركها اذابها كالطحين متفحمة... أما الجراد فحدث عنه ولا حرج إذ أتى على الحقول فأبادها اكساداً اكساداً..." (التمحري، 2006م، ص. 102-103)، وفي سنة (126هـج/ ٧٤٨م) تعرض إقليم الجزيرة الى آفة الجندب (حشرة صغيرة من جنس الجراد) فقد أتلقت أشجار الكروم بعد أن انتشرت بشكل كبير وأفسدت الكروم والزرع والحدايق والأعشاب والنباتات الخضراء (التمحري، 2008م، ص. 79-80).

وفي سنة ١٤٧هـج/ ٧٦٤م حدث وباء عظيم في كافة أرجاء الإقليم فقد أصاب الخيل وانتشر بسرعة البرق إذ أباد بمدة قليلة كل البهائم والحيوانات ، وقد أعطى لنا وصفاً دقيقاً لهذه الحالة بقوله: "بالنسبة للخيل مثلاً كنت تجد قطعاناً كبيرة منها يبلغ أحياناً عددها أكثر من ثلاثمائة رأس فإذا كانت ترعى سوية بالبراري وتأتي لتسقي الماء من الوديان والسواقي او البرك كانت تسقط ميتة عشرين عشرين في كل سقطه دفعة حتى امتلأت الوديان والبرية من جثتها وجافت الأرض من رائحتها الكريهة، وكان هذا النوع من المرض مثل الذي ينتشر بين البشر، وكان يسمى بمرض الورم وبالسريرية يدعى شرعطا (مرض يشبه الملاريا) إذ كان يظهر في الرقبة والحلق، وقلة من الحيوانات يسلم منها ما يقارب واحد بالمئة ، فمات من الخيل والبغال والحمير عدد كبير ولم يبق بحوزة الناس إلا النزر القليل فكادت الأرض تخلو منها... ثم يضيف : "إن الخيل ماتت ومركباته فنيت من الأرض وان خطاينا هي التي فعلت بنا ما هو فوق الحد بطباع لا منطق لها..." (التمحري، 2006م، ص. 118-119، 165) (التمحري، 2008م، صفحة 95) ثم يضيف التلمحري أن هذا الوباء أخذ ينتشر بين البشر وكان يصيب أفواههم ولم ينجوا من الموت أكثر من واحدة في المائة من تلك التي هاجمها المرض، وأن أغلب البغال والحمير والخيول قد هلكت وانتشر الوباء في كافة أرجاء المنطقة وقد كنس هذا الوباء كما تكنس المكنسة الدار (التمحري، 2008م، ص. 96)

كما حل أيضا في سنة ١٥٨ هـ / ٧٧٤ م وباء قد هلكت الحيوانات والمخلوقات الحية وخربت الأرض وامتألت بجثث الأغنام والمواشي والبهائم والحمر ، وفي الموصل أيضا تقشى مرض بين الأهالي ومن أعراضه ورم الرأس إذ لا يعي المصاب بنفسه ولا يقدر أن ينهض للعمل، وقد أصاب الناس وأخذوا يسقطون الواحد بعد الآخر ويموتون من شدة الألم ، وقد وصف لنا الزوقيني ذلك بقوله : "كانوا عند إصابتهم يظهر على أجسامهم خط ابيض يبقى يوماً أو يومين، ويختفي ليظهر، ويختفي ليظهر آخر لونه أحمر ، وهذا أيضا يتيسر فيظهر خط أزرق كامد والمريض يتحمل هذا الألم أياما كثيرة على أمل أنه سيشفى فيحدث له إمساك شديد ، وإذا تخلص منه أصابه مرض الدمامل حيث كانت تظهر أربع او خمس دمامل في مكان واحد وكل منها لها نوع ،ومنها من كانت تظهر الدمامل في بطنه أو على ظهره او صدره اضافة الى الباسور ومرض القلب ... واشتد الضيق بالناس وانتشر الجوع ، وكان المتجولون يقفون على الأبواب، فعلى كل باب يقف أكثر من عشرة أو عشرين أو ثلاثين متسولا ومن بينهم المصابين بالدمامل..."(التمحري، 2006م، ص. 118 ، 231-232) وكانت نتيجة هذا الأمر ازدياد أعداد الموتى فوق الحد والذي لم يمت من المرض مات من الجوع بسبب الوباء حيث أخذ الناس يهجمون على بعضهم البعض ويقتلون من وجدوه في الطريق حتى وصل الحد على حد وصفه : "ازداد عدد الموتى والقلى فوق الحد من أجل الحنطة والشعير...فكانوا لأجل حفنة من الطحين او خمس أرغفة يسفكون دم الأبرياء فأكثر نهب القرى وقطع الطريق ونهب السالكين بها من المسافرين أو العاملين، ويدخلون المدن ومنظرهم أخضر كلون الحشيش فيتبعون ما لديهم ويشترون الخبز" (التمحري، 2006م، ص. 232)

ثانياً: تحليل روايات تاريخ الزوقيني حول الأوبئة والآفات والأمراض.

لم نجد في روايات الزوقيني التي وردت في هذا المبحث أن هناك علاقة ولو بشكل بسيط بين السلطة الحاكمة والرعية في تلك المدة الحرجة التي عانى منها الناس، إذ إن الأوبئة والآفات والجوع الذي ألمَّ بالناس وتسبَّب في هلاك كل ما هو حي، وقد أثر هذا الى حد كبير على النمو الديموغرافي. فلم يكن في رواياته أثر للسلطة الحاكمة في تخفيف وطأة هذه الكوارث ومواجهة الأوبئة والأمراض التي فتكت بالناس في إقليم الجزيرة بعد أن عانوا الأمرين ، إذ أنه أشار إلى أن الأوبئة والأمراض والآفات قد أثرت على المستوى الاقتصادي والمعيشي إذ أدت إلى قلة المواد الغذائية الأساسية للناس وارتفاع الأسعار الذي شكَّل عائق آخر في حياتهم فارتفعت أسعار الحبوب لا سيما القمح حتى وصل مكيال الحنطة الواحد بدينار أو أكثر، ولم يقتصر ذلك على المواد الغذائية، وإنما شمل البضائع المعيشية الضرورية الأخرى التي تؤثر بشكل كبير على الوضع الصحي والاقتصادي نتيجة العرض والطلب فضلاً عن الضرائب التي أثقلت كاهل المجتمع، فعلى سبيل المثال لا الحصر في سنة (91-92هـ / ٧٠٩ و ٧١٠م) فرضت ضرائب جديدة أضيفت الى الضرائب السابقة مما ضاعف على الأهالي في إقليم الجزيرة مساوئ الحياة فانتشرت المجاعات (التمحري، 2008م، صفحة 31)، وإلى جانب الكوارث الطبيعية حدثت كوارث بشرية ، ومنها ما حدث في سنة (157هـ / ٧٧٤م) إذ حدثت كارثة سياسية تلك التي انتهجها الوالي موسى بن مصعب تجاه الرعية حينما القى أوامره بنهب ثروات الناس حتى وصفهم بقوله : "انقضوا على عابري السبيل مثل الكلاب المتوحشة يهبون دون رحمة الذاهبين والعائدين...وكانوا أكثر جشعاً من النسور التي تتربح خراب الجثث، وينظرون سقوط الرجال المساكين بين الأيادي فكانوا يسحبون الفقراء حول الجثة" (التمحري، 2008م، ص. 207) وهذا الأسلوب كانوا ينتهجونه مع الرعية بين الحين والآخر حتى نجد أن بعض الناس يبيعون ممتلكاتهم بأبخس الأثمان لكي يسدد

ما يطلبه الولاة منهم، وبالتالي شكلت تلك العوامل بشكل او بأخر في تفشي المجاعات والفقر، وتدني المستوى الاقتصادي، وأراد الزوقيني هنا أن يبين أن السلطة السياسية لم تهتم بالناس عن طريق ضبط الأمن وحفظ حقوقهم ووجدتهم في الأوقات العصيبة، لا بل إن السلطة أضافت كارثة جديدة مع الكارثة الطبيعية التي ألمت بالعوام ، بالمقابل لم نجد في رواية واحدة من روايات الزوقيني قد أشار فيها إلى أن هناك تعاضدا اجتماعيا بين فئات المجتمع سوى بين أبناء جلدته (أي النصارى) عن طريق التقافهم حول رجال الدين والتزام ما يطلبونه منهم، وهذا ما ذكرناه آنفا من أنه تحدّث بنفس ديني بحت وأنه نسب جميع الأحداث التاريخية لغضب الله عز وجلّ على الإنسان، في الوقت نفسه لم نجد أنّ المؤرخ ذكر في رواياته حول الأوبئة والأمراض والآفات أنها أثرت على الجانب الثقافي والعلمي ونحن نعلم أن الحياة العلمية ترتبط ارتباطا وثيقا بالاستقرار الأمني والصحي ، وأن للكوارث الطبيعية والأوبئة والأمراض تأثيراً مباشراً على الأحوال العامة للناس سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو ديموغرافية ، وقد عدّت هذه الظواهر أحد أهم الأسباب التي هدّدت حياة السكان واستقرارهم في إقليم الجزيرة.

## الخاتمة

في ختام دراستنا المعنونة (الكوارث والأوبئة والآفات في إقليم الجزيرة ٤١\_ ١٥٨ هـ /662-775م) في روايات تاريخ الزوقيني المنحول للمؤرخ ديونيسيوس التلمحري)، لا بدّ من تسجيل أهم النتائج التي توصلنا إليها ومنها:

1- يُعد إقليم الجزيرة أحد أهم الأقاليم العربية المهمة في الدولة العربية والإسلامية لما له من أثر في ربط المناطق، والمدن، والقرى بعضها مع بعض، فكانت أحوالهم العامة متنوعة إذ ضم الإقليم العديد من العناصر السكانية منها: العرب المسلمين، والأتراك، والأكراد، والأرمن.. الخ فضلاً عن الفئات الدينية الأخرى مثل المسلمين، واليهود، والنصارى، والصابئة، والمجوس.. الخ فقد كانت هذه العناصر والفئات تعيش متآلفة وفق الشريعة الإسلامية، والتسامح الديني الذي منحه الإسلام لهم، وقد تغيّرت أوضاعهم العامة في بعض الأحيان حسب الولاة الذين تولوا أمر الإقليم ومدنه، ومن الجدير بالذكر أن أغلب القبائل العربية والإسلامية ساندت وساعدت المسلمين في فتوحاتهم.

2- يُعد كتاب تاريخ الزوقيني من المصادر السريانية المترجمة المهمة، لا سيما وأنه انفرد بروايات مهمة حدثت في العصور التاريخية المختلفة، خصوصاً أنه دون أخباره من بدء الخليقة ومولد سيدنا إبراهيم الخليل (عليه السلام) ذاكراً عدّة ممالك منها مملكة نينوس الذي شيّد مدينة نينوى، حتى تسلسل في ذكر ملوك وسنوات حكمهم، وقد نوه إلى أنه اتخذ من كتاب القديس يعقوب أسقف آسيا سنة ٨٨٥ يوناني ٥٧٤ م وهي سنة الإسكندر، حتى سنة ١٥٨ هـ / ٧٧٥م، لهذا كان عنوان دراستنا محددًا بفترة زمنية معينة من ٤١\_ ١٥٨ هـ.

3- تعرض إقليم الجزيرة إلى العديد من الكوارث الطبيعية التي شملت منها: البرد والصقيع والثلوج، والجفاف، والزلازل والهزات الأرضية، والسيول، وقد تخلّلتها أحداث أزمات اقتصادية خانقة عند الناس بسبب تلف المحاصيل الزراعية، وتضرّر الثروة الحيوانية؛ ممّا أدى إلى ارتفاع الأسعار وحوادث المجاعة ومن ثمّ هلاك العديد من الأرواح سواء من البشر أو الدواب.

- 4- لم يقتصر تأثير الكوارث الطبيعية في إقليم الجزيرة على الجانب الاقتصادي فحسب، وإنما تعدّاهما إلى الجانب الديموغرافي والاجتماعي، فغالبا عند حدوث الكارثة مثل الهزات الأرضية أو الزلازل تتهدّم البيوت والحقول، وتنتشر الأمراض، فيعتمد الناس إلى البحث عن أماكن جديدة للسكن بعيد عن تأثير هذه الكوارث ولتجنبوا أضرارها وبالتالي انعكس على الأمر على التغيير الديموغرافي والاجتماعي لمجتمع إقليم الجزيرة.
- 5- أراد الزوقيني في رواياته أن يبين بأن السلطة الحاكمة لم يكن لها أثر في درء الكوارث الطبيعية والأوبئة والأمراض والآفات التي ألمت بسكان إقليم الجزيرة، ولم يكن هناك تعاون وسعي من قبل الولاة باتخاذ الإجراءات اللازمة للحد من تأثير هذه الكوارث لا بل لم تعالج الأزمات الاقتصادية والمعيشية للرعية.
- 6- نجد أن الزوقيني في رواياته عن معاناة الناس من تأثير الكوارث أنه ناقم على الحكم الإسلامي، وأظهر تحيزه لأبناء ديانته النصرانية، فهو عندما تحدّث بذلك ألقى باللوم على العرب وحكام المسلمين، وكل ما حصل نسبة إلى المسلمين، وغالبا ما فسّر الأحداث وأرجعها للطابع الديني نتيجة الخطايا التي ارتكبتها البشر.
7. أراد الزوقيني أن يبين أن السلطة السياسية لم تعر أهمية للناس عن طريق ضبط الأمن وحفظ حقوقهم ونجدهم في الأوقات العصيبة، لا بل جعل السلطة هي من أضافت عبئا ثقيلا آخر فوق ما نتجت عنه الكوارث الطبيعية التي ألمت بالعوام من فرض الضرائب على الفئات الدينية غير المسلمة ومنهم النصاري، والحقيقة مخالفة لما قاله الزوقيني فأغلب المصادر التاريخية أشارت إلى أن السلطة الحاكمة وضعت الحلول عن طريق القوانين اللازمة لحل الأزمات، إلا أن هناك بعض الولاة اتسمت بسياستهم بالشدّة والقسوة تجاه الرعية دون تفريق بين فئات المجتمع، وهذا ما كان عليه الوالي موسى بن مصعب والي الموصل إبان فترة حكم الخليفة أبي جعفر المنصور، وعن طريق ما تقدّم يمكن القول أن المؤرخ الزوقيني لم يكن حيادياً وعادلاً في نقل الحقائق.

#### قائمة المصادر والمراجع

##### \*القرآن الكريم

##### \*الكتاب المقدس

- 1- ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد (ت ٣١٤هـ)، كتاب الفتوح، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٦م.
- 2- الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم محمد الفارسي ت ٣٤١هـ، المسالك والممالك تحقيق محمد جابر الحيني، الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٤م.
- 3- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠هـ)
- 4- القانون المسعودي، د.ت
- 5- البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية ليدن ١٩٢٣م
- 6- ابن حوقل أبو القاسم النصيبي ت ٣٦٧هـ، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٩٢م.
- 7- أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل ت ٧٧٣هـ، تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه رينود وماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية باريس ١٨٤٠م.
- 8- الطبري، احمد بن جرير ت ٣١٠هـ، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق نواف جراح بيروت ٢٠٠٥م.

- 9- ابن رسته أبو محمد بن عمر كان حيا ٣٩٠هـ، الأعلاق النفيسة، طبع في مطبعة برييل ليدن ١٨٩١م.
- 10- البلاذري، فتوح البلدان، وضع حواشيه عبد القادر محمد علي بيروت ٢٠٠٠م.
- 11- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، قدم له وعلق عليه محمد صادق بحر العلوم نجف ١٩٧٤م
- 12- ابو يوسف يعقوب بن إبراهيم ت ١٨٢هـ، الخراج تحقيق محمد المناصير، دار كنوز المعرفة العلمية عمان ٢٠٠٩م.
- 13- القزويني، آثار البلاد والعباد، بيروت ١٩٩٨م.
- 14- قدامة بن جعفر (ت ٣٢٨هـ)، الخراج وصناعة الكتابة، تعليق محمد حسن الزبيدي، وزارة الثقافة والإعلام بغداد ١٩٨١م.
- 15- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد أبو بشارة (ت ٣٧٥هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي القاهرة ١٩٩١م.
- 16- التلمحري، تاريخ الزوقيني، ترجمة الشماس بطرس قاشا، قدمه الأب سهيل قاشا، سلسلة الكنائس المسيحية الشرقية ٤، منشورات المكتبة البولسية، ٢٠٠٦م
- 17- تاريخ الأزمان، ترجمة شادية توفيق حافظ ط١، المركز للترجمة القاهرة ٢٠٠٨م
- 18- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو (ت ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة ج ٢/ ص ١٢٨، تحقيق محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية بيروت ط ١٤٢٨هـ / ١٩٩٨م.
- 19- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار الصادر بيروت، ط ٣، ١٩٩٣م
- 20- المسعودي، أبو الحسن علي ت ٣٥٤هـ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس بيروت ١٩٦٥م
- 21- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دت بيروت
- 22- ميخائيل الكبير، تاريخ ميخائيل الكبير، ترجمة مار غريغوريوس صليبا شمعون دار ماردين حلب، ط ١، ١٩٩٦م.
- 23- شيرين حمودي، الجزيرة الفراتية منذ بداية العصر العباسي وحتى خلافة المأمون ١٣٢\_ ٢١٨ رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة دمشق ٢٠٠٨م.
- 24- صبحي الصالح، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها بيروت ١٩٦٥م
- 25- السويد، د. يوسف ماي اسحاق، تاريخ الزوقيني المنحول لديونيسيوس التلمحري العدد ٨ ١٩٨٤ مجلة مجمع اللغة السريانية.
- 26- اغناطيوس افرام، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية سلسلة التراث السرياني ط ٥، حلب، ١٩٧٨.
- 27- خالد فائق العبيد لسنا بمأمن لله جنود السماوات والأرض، دار الكتب العلمية بيروت ط ١، ٢٠٠٧م.
- 28- جاسم صكبان علي، الحياة الريفية في الجزيرة الفراتية في القرن الأول الهجري، مجلة المؤرخ العربي، ع ٢٦، ١٩٨٥م.
- 29- المفرجي، أفراح حميد عبد، النبوءات الغيبية وأثرها على وقائع الأحداث التاريخية خلال العصر العباسي في روايات المؤرخ ديونيسيوس التلمحري (كتاب تاريخ الأزمان انموذجاً)، ٢٠٢٥م مجلة لارك مجلد ١٧ عدد ٣ (٢٠٢٥): الجزء الاول

DOI: <https://doi.org/10.31185/lark.4419>

30- المسعودي، م. عباس فضل حسين الكوارث الطبيعية وأثرها في الأندلس من الفتح حتى نهاية عصر الخلافة الأموية (92-

422 هـ) // ( 711-1223م)، مجلة لارك مجلد ٦ عدد ١ (٢٠١٤):

DOI: <https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss13.822>

31- شيخو، عيد العنصرة وتعاليمها ، مجلة المشرق ع١، سنة ١٩٦٠.

32- عبد الحسن عجيل و. (2022). التحليل الجغرافي لمعوقات تنمية الثروة الحيوانية في محافظة واسط. مجلة واسط للعلوم الانسانية، 18(1).

<https://doi.org/10.31185/.Vol18.Iss50.184>

مجلة

**List of Sources and References \*The Holy Quran**

1. **bn A'tham al-Kūfi, Abū Muḥammad Aḥmad** (d. 314 AH). *Kitāb al-Futūḥ*. Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyya, 1986.
2. **Al-Iṣṭakhrī, Abū Ishāq Ibrāhīm b. Muḥammad al-Fārisī** (d. 341 AH). *Al-Masālik wa-l-Mamālik*. Edited by Muḥammad Jābir al-Ḥīnī. Cairo: General Authority for Cultural Palaces, 2004.
3. **Al-Bīrūnī, Abū al-Rayḥān Muḥammad b. Aḥmad** (d. 440 AH).
4. *Al-Qānūn al-Mas'ūdī*. N.p., n.d.
5. *Al-Āthār al-Bāqiya 'an al-Qurūn al-Khāliya*. Leiden: Brill, 1923.
6. **Ibn Ḥawqal, Abū al-Qāsim al-Naṣībī** (d. 367 AH). *Ṣūrat al-Arḍ*. Beirut: Dār Maktabat al-Ḥayāt, 1992.
7. **Abū al-Fidā', al-Malik al-Mu'ayyad 'Imād al-Dīn Ismā'il** (d. 773 AH). *Taqwīm al-Buldān*. Edited by Reinaud and de Slane. Paris: Imperial Printing House, 1840.
8. **Al-Ṭabarī, Aḥmad b. Jarīr** (d. 310 AH). *Tārīkh al-Rusul wa-l-Mulūk*. Edited by Nawwāf al-Jarrāḥ. Beirut, 2005.
9. **Ibn Rustah, Abū Muḥammad 'Umar b. Rustah** (alive ca. 390 AH). *Al-A'lāq al-Nafīsa*. Leiden: Brill Press, 1891.
10. **Al-Balādhurī**. *Futūḥ al-Buldān*. With annotations by 'Abd al-Qādir Muḥammad 'Alī. Beirut, 2000.
11. **Al-Ya'qūbī**. *Tārīkh al-Ya'qūbī*. Introduction and commentary by Muḥammad Ṣādiq Baḥr al-'Ulūm. Najaf, 1974.
12. **Abū Yūsuf, Ya'qūb b. Ibrāhīm** (d. 182 AH). *Kitāb al-Kharāj*. Edited by Muḥammad al-Manāshīr. Amman: Dār Kunūz al-Ma'rifa al-'Ilmiyya, 2009.
13. **Al-Qazwīnī**. *Āthār al-Bilād wa-Akḥbār al-'Ibād*. Beirut, 1998.
14. **Qudāma b. Ja'far** (d. 328 AH). *Al-Kharāj wa-Ṣinā'at al-Kitāba*. Commentary by Muḥammad Ḥasan al-Zubaidī. Baghdad: Ministry of Culture and Information, 1981.
15. **Al-Muqaddasī, Abū 'Abd Allāh Muḥammad b. Aḥmad** (d. 375 AH). *Aḥsan al-Taqāsīm fī Ma'rifat al-Aqālīm*. Cairo: Maktabat Madbūlī, 1991.
16. **Dionysius of Telmahre (Pseudo-Dionysius)**. *The Zuqnīn Chronicle*. Translated by Deacon Buṭrus Qāshā, introduction by Fr. Suhayl Qāshā. Eastern Christian Churches Series 4. Beirut: Paulist Press, 2006.
17. *The Chronicle of the Ages*. Translated by Shādiyya Tawfīq Ḥāfīz. 1st ed. Cairo: National Center for Translation, 2008.
18. **Al-Zamakhsharī, Abū al-Qāsim Maḥmūd b. 'Umar** (d. 538 AH). *Asās al-Balāgha*, vol. 2, p. 128. Edited by Muḥammad Bāsil 'Uyūn al-Sūd. Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyya, 1998.
19. **Ibn Manzūr, Muḥammad b. Mukarram** (d. 711 AH). *Lisān al-'Arab*. 3rd ed. Beirut: Dār Ṣādir, 1993.
20. **Al-Mas'ūdī, Abū al-Ḥasan 'Alī** (d. 354 AH). *Murūj al-Dhahab wa-Ma'ādin al-Jawhar*. Beirut: Dār al-Andalus, 1965.
21. **Yāqūt al-Ḥamawī**. *Mu'jam al-Buldān*. Beirut, n.d.
22. **Michael the Great**. *The Chronicle of Michael the Syrian*. Translated by Mor Gregory Saliba Shamoun. Aleppo: Dār Mardin, 1996.

**Modern Studies and Articles**

23. **Ḥamūdī, Shīrīn**. *Al-Jazīra al-Furātiyya from the Beginning of the Abbasid Era to the Caliphate of al-Ma'mūn (132–218 AH)*. Unpublished MA thesis, Faculty of Arts, University of Damascus, 2008.

24. **Al-Şāliḥ, Şubḥī.** *Islamic Systems: Their Emergence and Development.* Beirut, 1965.
25. **Al-Suwayd, Yūsuf Māy Ishāq.** “The Pseudo-Zuqnīn Chronicle Attributed to Dionysius of Telmahre.” *Journal of the Syriac Language Academy*, no. 8 (1984).
26. **Ignatius Ephrem I.** *Al-Lu’lu’ al-Manthūr fī Tārīkh al-’Ulūm wa-l-Ādāb al-Suryāniyya.* Syriac Heritage Series, vol. 5. Aleppo, 1978.
27. **Al-’Ubayd, Khālīd Fā’iq.** *We Are Not Safe from the Soldiers of Heaven and Earth.* Beirut: Dār al-Kutub al-’Ilmiyya, 2007.
28. **Şakbān, Jāsīm ‘Alī.** “Rural Life in the Jazira Region during the First Hijri Century.” *Arab Historian Journal*, no. 26 (1985).
29. **Al-Mufarijī, Afrāḥ Ḥamīd ‘Abd.** “Prophetic Predictions and Their Impact on Historical Events during the Abbasid Era in the Narratives of Dionysius of Telmahre.” *Lark Journal*, vol. 17, no. 3 (2025), Part I.  
DOI: 10.31185/lark.4419
30. **Al-Mas’ūdī, ‘Abbās Faḍl Ḥusayn.** “Natural Disasters and Their Impact on al-Andalus from the Conquest to the End of the Umayyad Caliphate (92–422 AH / 711–1223 AD).” *Lark Journal*, vol. 6, no. 1 (2014).  
DOI: 10.31185/lark.Vol1.Iss13.822
31. **Shaykhū, ‘Īd.** “Pentecost and Its Teachings.” *Al-Mashriq Journal*, no. 1 (1960).
32. **‘Ajīl, ‘Abd al-Ḥasan.** “Geographical Analysis of Constraints on Livestock Development in Wasit Governorate.” *Wasit Journal for Humanities*, vol. 18, no. 1 (2022).  
DOI: 10.31185/Vol18.Iss50.184